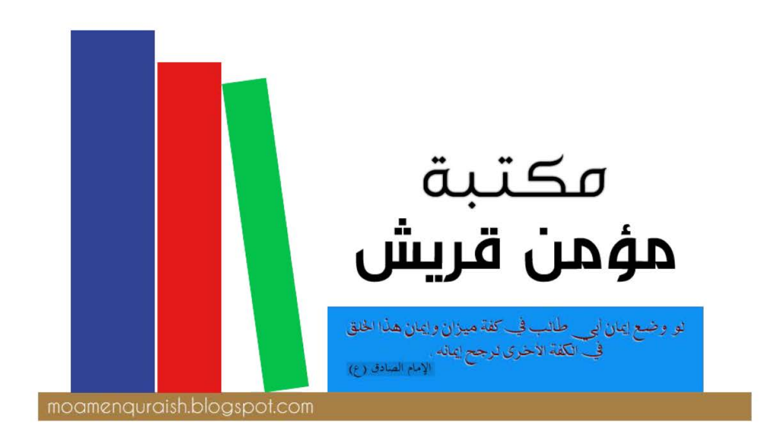
في رحاب القرآن

الإنتظار الموجه

الشيخ محمد مهدي الآصفي



دار الولاء
لصناعة النشر



الإنتظار الموجه



بيروت - لبنان، برج البراجنة، الرويس، شارع الرويس
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133 | P.O. Box: 307/25
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com | www.daralwalaa.com

الكتاب: في رحاب القران
المؤلف: الشيخ محمد مهدي الآصفي
الناشر: دار الولاء لصناعة النشر
تاريخ الطبع: ٢٠١٥ م

في رحاب القرآن

الإنتظار الموجه

محمد مهدي الآصفي



دار الولاء
لصناعة النشر



للانتظار علاقة عضوية وشيجة بالحركة، فهي من نتائجه، وهو من عواصمها. وسوف نبحث، إن شاء الله، أولاً في علاقته بها، وثانياً في علاقتها به. في هذه الرسالة على نحو الاجمال.

علاقة الانتظار بالحركة

التّوجيه النفسي لمسألة الانتظار

يحبُّ بعض الناس أن يصوِّروا حالة «الانتظار» بأنّها مسألة نفسية نابعة من حالة الحرمان في الطبقات المحرومة في المجتمع والتاريخ، وحالة الهروب من الواقع المثقل بالمتاعب إلى الاستغراق في تخيّل المستقبل، الذي يتمكن فيه المحرومون من استعادة جميع حقوقهم واستعادة السيادة والحقوق المغتصبة، وهذا نوع من «أحلام اليقظة»، أو الهروب من الواقع إلى التخيُّل.

المناقشة:

ولمناقشة التّوجيه المقدّم أقول: إنّ هذا التوجيه لمسألة الانتظار غير علمي بالتأكيد، إذا قدّر لنا أن ننظر في تاريخ المسألة والمساحة الواسعة التي تحتلّها من العقائد الدينية المعروفة في تاريخ الإنسان.

الانتظار في المدارس الفكريّة (غير الدينية)

تتجاوز مسألة الانتظار الدائرة الدينية وتعمّ المذاهب والاتجاهات غير الدينية كالماركسية مثلاً، كما يقول برتراند راسل: «الانتظار لا يخصّ الأديان فحسب، بل المدارس والمذاهب أيضاً تنتظر ظهور

منقذ ينشر العدل ويحقّق العدالة».

والانتظار، كما يقول راسل، عند الماركسيين، هو الانتظار نفسه عند المسيحيين.

وللانتظار، عند «تولستوي» المعنى نفسه الموجود عند المسيحيين، إلاّ أن هذا الروائيّ الروسيّ يختلف عن المسيحيين في الزاوية التي يطرح منها المسألة.

الانتظار في الأديان السابقة على الإسلام

نقرأ، في العهد القديم من الكتاب المقدّس: «لا تقلق لوجود الأشرار والظالمين فسوف تنقطع سلالة الظالمين، والمنتظرون لعدل الله يرثون الأرض والذين لعنوا يتفرقون، والصالحون من الناس هم الذين يرثون الأرض ويعيشون فيها إلى نهاية العالم»[1].

وهذه الحقيقة التي يقرّرها المزمور 37، من كتاب المزامير، هي التي جاءت في القرآن الكريم: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[2].

---

(1) الكتاب المقدّس، سفر مزامير داود، مزمور 37.
(2) الأنبياء: 105.

الانتظار عند المسلمين (من أهل السُنّة)

ولا يختصّ انتظار «المهدي المنقذ×»، بالشيعة، فقد تواترت روايات المهدي# من طرق السُنّة بأسانيد صحيحه ومستفيضة لا يمكن التشكيك فيها كما وردت من طرق الشيعة الإمامية.

يقول عبد الرّحمن بن خلدون، من علماء القرن الثامن الهجري، وصاحب المقدّمة الشهيرة لكتاب «العِبَر...»: «اعلم أنّ المشهور من الكافّة، من أهل الإسلام، على مرّ الأعصار، أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، يستولي على الممالك الإسلامية ويسمّى بـ «المهدي»، ويكون خروج الدجّال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأنّ عيسى× يترل من بعده فيقتل الدجّال، أو يترل معه فيساعده على قتله، ويأتمّ بالمهدي في صلاته»[1].

ويقول الشيّخ عبد المحسن العبّاد، المدرّس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة، في بحث قيِّم له: «إثر حادث الحرم المؤلم حصلت بعض التساؤلات، فأوضح بعض العلماء، في الإذاعة والصحف،

---

(1) مقدمة ابن خلدون: 311.

صحة كثير من الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، ومنهم الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئيس إدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد كتب في بعض الصحف مثبتاً ذلك بالأحاديث الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ. ومنهم الشّيخ عبد العزيز بن صالح إمام وخطيب المسجد النّبويّ».

ثُمَّ يذكر أنّه كتب هذه الرسالة موضّحاً أنّ القول بخروج المهدي آخر الزمان تدل عليه الروايات الصحيحة، وهو ما عليه العلماء من أهل السنّة في القديم والحديث إلاّ ما شذّ[1].

ويقول ابن حجر الهيثمي، في الصواعق المحرقة، في قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرونَّ بِهَا...}[2]، قال مقاتل ومن تبعه من المفسرين:

(إنّ هذه الآية نزلت في المهدي).

وستأتي الأحاديث المصرّحة بأنّه من أهل البيت النّبويّ ــ وحينئذ ــ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعليّ رضي الله عنهما، وأنّ الله ليخرج منهما كثيراً طيّباً، وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة، ومعادن الرّحمة. وسِرُّ ذلك أنّ النبيّ ﷺ

---

(1) مجلّة الجامعة الإسلامية، العدد 45.
(2) الزخرف: 61.

أعاذها وذريّتها من الشّيطان الرّجيم، ودعا لعليّ× بمثل ذلك)[1].

ويقول الشّيخ ناصر الدين الألباني من شيوخ الحديث المعاصرين في مجلة «التمدّن الإسلامي»:

«أمّا مسألة المهدي فليعلم أنّ في خروجه أحاديث كثيرة صحيحه. قسم كبير منها له أسانيد صحيحة وأنا مُورِد هنا أمثله منها»، ثُمَّ يذكر طائفة من هذه الأحاديث.

أحاديث الانتظار عند الشيعة الإماميّة

أمّا حديث انتظار الإمام المهدي# عند الشيعة الإماميّة فهي كثيرة، متواترة، وردت طائفة منها بطرق صحيحة.

وقد جمع بعض العلماء هذه الأحاديث في منهج علمي قيّم، منهم: الشّيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني في كتابه القيّم «منتخب الأثر» ومنهم الشيخ عليّ الكوراني في موسوعة الإمام المهدي[2]وغيرهما.

---

(1) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة 1: 240.

(2) معجم أحاديث الإمام المهدي، تأليف الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الإسلاميّة إشراف الشيخ عليّ الكوراني، نشر مؤسسة المعارف

ولسنا الآن بصدد استعراض هذه الروايات عن أي من الطريقين.

فليس موضوع دراستنا هذه دراسة الأحاديث الواردة في الإمام المهدي# ومناقشة هذه الروايات من حيث السّند والدلالة، وإنّما نطلب في هذه الدراسة أمراً آخر نسأله تعالى أن يوفقنا له، ونترك مسألة الأحاديث الواردة في الإمام المهدي إلى مجالها المخصّص من كتب الحديث.

ما هو الانتظار؟ وما قيمته الحضاريّة؟

والمسألة التي نريد أن نتحدّث عنها، هنا، إن شاء الله هي: ما هو الانتظار؟ وما قيمته الحضارية؟

الانتظار مفهوم إسلامي وقيمة حضارية: وعلى هذا المفهوم يترتب سلوك حضاريّ معيّن، فقد يفهم الناس الانتظار بطريقة سلبية يتحوّل فيها هذا المفهوم إلى عامل للتخدير والإعاقة عن الحركة.

وقد يفهم بطريقة إيجابية تجعل منه عاملاً من عوامل التحريك

الإسلاميّة، ط1 (1411 هـ)، قم، مطبعة بهمن.

والبعث والإثارة في حياة الناس.

إذن لابدّ لنا من أن نقدّم تصوّراً دقيقاً لمسألة الانتظار، وهذه هي مهمتنا الأساسية في هذه الدراسة.

الانتظار ثقافة ومفهوم حضاري يدخل في تكوين عقليتنا، وأُسلوب تفكيرنا، ومنهج حياتنا، ورؤيتنا إلى المستقبل، وبشكل فاعل ومؤثر، وله تأثير في رسم الخط السياسي الذي نرسمه لحاضرنا ومستقبلنا.

وللانتظار عمق حضاري في حياتنا يقرب من ألف ومئة سنة لأنّ الغيبة الصغرى انتهت سنة (329 هـ)، وقد مرّ على هذا التاريخ ألف وتسعون سنة تقريباً.

وخلال هذا التاريخ دخلت هذه المسألة في صياغة عقليتنا السياسية والحركية بشكل مؤثّر. ولو قمنا ــ نظريّاً ــ بعمليّة تجريد لتاريخنا السياسي والحركي عن عامل «الانتظار» لكان لهذا التاريخ الطويل شأن آخر.

والذي يقرأ «دعاء الندبة» الذي يدأب عليه المؤمنون أيام الجمعة يعرف عمق هذه المسألة ونفوذها في نفوس المؤمنين وعقليتهم ومنهجهم في التفكير والحركة.

أنحاء الانتظار

الانتظار على نحوين:

النحو الأوّل من الانتظار الانتظار الذي ليس بوسع الإنسان أن يقدّمه أو يؤخّره، كما لو كان الغريق ينتظر وصول فريق الإنقاذ إليه من الساحل ويراهم مقبلين إليه لإنقاذه. فإنّ من المؤكد أنّ الغريق لا يستطيع أن يقدّم وصول فريق الإنقاذ إليه، إلاّ أنّه من المؤكد أيضاً أنّ هذا الانتظار يبعث في الغريق نفسه أملاً قوياً في النجاة، ويدخل نور الأمل على ظلمات اليأس التي تحيط به من كلّ جانب.

و«الأمل» يمنح الإنسان «المقاومة» بالضرورة، فيواصل الغريق المقاومة حتّى يصل فريق الإنقاذ إليه. وعجيب أمر هذا الإنسان إذا انهار، وإذا قاوم.. فإذا انهار لا يتمكن أحد من أن يثبته، أو يبني ويعيد ما ينهار منه. وقد يكون هذا الذي ينهار كيان سياسي ضخم، وليس فرداً أو جماعة، وكلّنا قد شاهد في وقت قريب انهيار الاتحاد السوفيتي، ثاني أعظم كيانين سياسيين في العالم، إن لم يكن الأوّل المكرّر منهما.

وإذا قاومَ الإنسان ورزقه الله القدرة على المقاومة والصمود، فلا يفتّ شيء في مقاومته وصموده ولا يُضعف شيء ثباته ومقاومته.

ومن عجب أن يتحول هذا الإنسان الكائن من لحم ودم وأعصاب إلى كتلة مرصوصة وقوية يتحمّل من العذاب ما يتفتّت منه صلب الحديد. ولا شكّ في أنّ هذه المقاومة من الله تعالى، ولا شكّ في أنّ «الأمل» من أسباب هذه المقاومة، وهاتان معادلتان لا سبيل للتشكيك فيهما.

المعادلة الأُولى:

إنّ «الانتظار» يبعث على «الأمل»، ويخترق ظلمات اليأس التي تكتنف حياة الإنسان.

المعادلة الثانية:

إنّ «الأمل» يمنح الإنسان «المقاومة».

النحو الثاني من الانتظار ما يستطيع الإنسان أن يقرّ به ويبعده، كالشفاء من المرض وإنجاز مشروع عمراني أو علمي أو تجاري، والانتصار على العدوّ والتخلص من الفقر، فإنّ كلّ ذلك من الانتظار، وأمر تعجيل هذه الأُمور أو تأخيرها وتأجيلها بيد الإنسان نفسه.

فمن الممكن أن يعجّل بالشفاء ومن الممكن أن يؤخّره أو ينفيه، ومن الممكن أن يعجّل بالمشروع التجاري أو العمراني أو العلمي أو يؤخّره، أو يلغيه رأساً. ومن الممكن أن يعجّل بالنصر والغنى أو يؤخرهما أو ينفيهما رأساً.

وبهذا التقرير يختلف أمر هذا الانتظار عن النحو الأوّل الذي تحدّثنا عنه، فإنّ بإمكان الإنسان أن يتدخّل في تحقيق ما ينتظره والإسراع به أو تأجيله أو إلغائه.

ولذلك فإنّ الانتظار من النوع الثاني يمنح الإنسان بالإضافة إلى «الأمل» و «المقاومة»: «الحركة». وهذه الأخيرة، أعني «الحركة»، تخصُّ هذا النحو من الانتظار، فإنّ الإنسان إذا عرف أنّ نجاته وخلاصه يتوقّفان على حركته وعمله وجهده سوف يبذل لخلاصه ونجاته في عمله من الجهد والحركة ما لا قِبل له به من قبل.

ففي الانتظار، من النحو الأوّل، لم يكن بإمكان الإنسان غير «الأمل» و «المقاومة». أمّا الانتظار الأخير فهو يمنح الإنسان بالإضافة إلى «الأمل» و«المقاومة» «الحركة» أيضاً.

1 ــ أمل في النفس يُمكّن الإنسان من اختراق الحاضر ورؤية المستقبل، وشتان بين مَنْ يرى «الله» و «الكون» و «الإنسان» من خلال معاناة الحاضر فقط وبين مَنْ يرى ذلك كلّه من خلال الماضي والحاضر والمستقبل. ولا شكّ في أنّ هذه الرؤية تختلف عن تلك ولا شكّ في أنّ العُتمة والظلمة والسلبية التي تكتنف الرؤية الأُولى تسلم منها الرؤية الثانية.

2 ــ ومقاومة تمكّن الإنسان من مواصلة الصمود ومقاومة الانهيار والسقوط حتّى وصول المددّ، وما لم يكن للإنسان أمل في

وصول المددّ فإنّه لا يقاوم.

3 ــ وحركة تمكّن الإنسان من تحقيق الخلاص والنجاة، وتحقيق القوة والغنى والكفاءة. وهذا الانتظار هو «الانتظار الحركي»، وهو أفضل أنواع الانتظار، والانتظار الذي نحن بصدد دراسته من هذا النوع الأخير.

آلية التغيير

وهذا الانتظار يشبه توقُّع الناس من الله تعالى أن يغيّر أُمورهم من السيِّئ إلى الحسن، ومن الفقر إلى الغنى، ومن العجز إلى الكفاءة، ومن الهزيمة إلى النصر. ولا شكّ في أنّه توقُّع صحيح وعقلاني، فإنّ الإنسان ركام من الضعف والعجز والفقر والجهل والسوء.

والله تعالى هو المؤمَّل ليغيّر ذلك كلّه، ويحوّله إلى القوّة والكفاءة والغنى والعلم والحسن. وليس من بأس على الإنسان من هذا التوقّع والانتظار من الله تعالى ولكن بشرط أن يسلك الإنسان لتحقيق هذا الانتظار الآلية المعقولة التي دعا إليها الله تعالى لهذا التغيير، فإنّ هذا التغيير من جانب الله تعالى لاشكّ في ذلك، ولكن ضمن آلية معينة، وما لم يستخدم الإنسان هذه الآلية، فلا يصحّ له أن يتوقّع أو ينتظر هذا التغيير من جانب الله تعالى. وهذه الآلية هي أن يبدأ

الإنسان بتغيير ما بنفسه حتّى يُغيّر الله تعالى ما به.

إنّ ما بنا من التخلّف الاقتصادي والهزيمة العسكرية والتخلّف العلمي وسوء الإدارة... ناشئ عمّا بأنفسنا من الإشكالية والضعف والكسل واليأس، وفقدان الجرأة والشجاعة والجهل...

فإذا غيّرنا «ما بأنفسنا» غيّر الله تعالى ما بنا من دون شكّ. وليس من شكّ في أنّ الله تعالى هو وحده الذي غيّر ما بنا.

كما ليس من شكّ في أنّنا لو لم نغيّر ما بأنفسنا لا يغيّر الله ما بنا إلاّ إنْ شاء الله، وهاتان حقيقتان تأبيان النقاش والتشكيك. وانتظار التغيير من الله تعالى حقّ ليس فيه شكّ، ولكن على أن يقترن هذا الانتظار بالحركة والفعل من ناحية الإنسان، وهذا هو الانتظار الحركي في توضيح ثان.

الانتظار «حركة» وليس «رصداً»

إنّ من الخطأ أن نفهم الانتظار على أنّه رصد سلبي للأحداث المتوقّعة من دون أن يكون لنا دور فيه سلباً أو إيجاباً، كما نرصد خسوف القمر وكسوف الشمس، فالتفسير الصحيح للانتظار أنه «حركة» و«فعل» و «جهاد» و «عمل»، وسوف ندخل إن شاء الله في تفاصيل هذا البحث.

ما هو السبب في تأخير (الفرج)؟

على الاجابة الصحيحة على هذا السؤال يتوقّف فهم المعنى الصحيح للانتظار، وهل هو بمعنى «الرصد» أو «الحركة»؟

الرأي الأوّل: إذا كان السبب في تأخير الفرج بظهور الإمام# وثورته الكونيّة الشاملة هو أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، فلابدّ من أن يكون الانتظار بمعنى «الرصد»، فلا يجوز لنا أن نوسّع رقعة الظلم والجور في الأرض، ببداهة الإسلام.

ولا يصح لنا أن نكافح الظلم والجور لأنّ ذلك يؤدي إلى إطالة زمن الغيبة، بموجب هذه الرواية.. فلابدّ من أن نرصد إذن تطوّر الظلم والجور في حياتنا السياسية والاقتصادية والعسكرية والقضائية، حتى إذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً ظهر الإمام×، وأعلن الثورة ضد الظالمين والفرج عن المظلومين.

الرأي الثاني: وإذا كان السبب في تأخير الفرج هو عدم وجود الأنصار الذين يُعدّون المجتمع لظهور الإمام والذين يوطّئون الأرض ويمهّدونها لثورته الشاملة، ويدعمون ثورة الإمام ويسندونها، فإنّ الأمر يختلف. فلابدّ من العمل والإعداد والتوطئة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامة سلطان الحقّ على وجه الأرض ليأتي الفرج بظهور الإمام#. وبناءً عليه لا يكون الانتظار بمعنى «الرصد» بل بمعنى «الحركة»، والعمل، والجهاد لإقامة سلطان الحقّ على وجه

الأرض; الأمر الذي يقتضي إعداد مَنْ يوطئ الأرض لظهور الإمام وثورته الشاملة.

ويختلف معنى الانتظار سلباً وإيجاباً بين «الرصد» و«الحركة» بناءً على هذا الفهم لظهور الإمام× وظهور الفرج على يده.

ونحن نناقش الآن هذه المسألة لنصل إلى الجواب الصحيح.

نقد الرأي الأوّل

لنا مجموعة ملاحظات على الرأي الأوّل، وهي:

1 ــ ليس معنى أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً هو أن يجفّ نبع التوحيد والعدل على وجه الأرض، ولا تبقى رقعة يعبد الناس عليها الله تعالى، فهذا أمر مستحيل وعلى خلاف سُنن الله تعالى...

وإنّما المقصود بهذه الكلمة طغيان سلطان الباطل على الحقّ في الصراع القائم بين الحقّ والباطل دائماً.

2 ــ ولا يمكن أن يزيد طغيان سلطان الباطل على الحقّ أكثر ممّا هو عليه الآن. فقد طغى الظلم على وجه الأرض شرّ طغيان.

وأنّ الذي يجري في بلاد البلقان على مسلمي البوسنة والهرسك بأيدي الصرب أمرٌ يقلُّ نظيره في تاريخ الظلم والإرهاب، ولطالما شقّ الصرب بطون النساء الحوامل، وأخرجوا من أرحامُهنَّ الأجنّة، وقتلوا الأطفال الصغار، وقطّعوا رؤوسهم، ولعبوا بها «لعبة الكرة»

أمام أعين آبائهم وأُمّهاهم.

وفي الشيشان يذبح الروس أطفال المسلمين، ويقدّمون لحومهم طعاماً للخنازير.

والظلم الذي مارسه الشيوعيون على مسلمي بلاد آسيا الوسطى إبّان الحكم الشيوعي أمرٌ تقشعرّ له الجلود.

وما يجري على المسلمين في سجون إسرائيل من العذاب الوحشي أمرٌ فوق حدود التعبير. وفوق ذلك كلّه وأعظم منه، ما جرى ويجري في العراق من ظلم وتصفية وإبادة وتعذيب واضطهاد للمؤمنين على يد جلاوزة البعث من فئة صدام، ممّا لا يقوى على وصفه التعبير.

... أقول إنّ الذي يجري من الظلم في أقطار العالم الإسلامي على المسلمين، في كلّ مكان تقريباً، أمر رهيب يدلّ على شيء أكثر من الظلم والجور ومن «امتلاء الأرض ظلماً وجوراً»، إنّه يدلّ، ومن دون مؤاخذة، على نضوب نبع الضمير في الأُسرة الدولية المعاصرة، وفي الحضارة البشرية المادية المعاصرة.

ونضوب الضمير مؤشّر خطر في تاريخ الإنسان يعقبه دائماً السقوط الحضاري الذي يعبّر عنه القرآن بـ «هلاك الأُمم».

و«الضمير» حاجة أساسية ورئيسية للإنسان، وكما لا يمكن أن يعيش الإنسان من دون «الأمن»، ومن دون «الطبّ والعلاج»،

ومن دون «الغذاء»، ومن دون «النظام السياسي»، ومن دون «العلم»، كذلك لا يمكن أن يعيش من دون الضمير، ومتى آل أمر هذا النبع إلى النضوب، فإنّ السقوط الحضاري هو النتيجة الطبيعية لهذه الحالة، وبعد السقوط يأتي قانون «الاستبدال» و «التبديل» و «الإرث»، وهذه هي حالة قيام ثورة الإمام× الكونية وقيام الدولة العالمية الشاملة.

3 ـ وقد كانت غيبة الإمام× بسبب طغيان الشرّ والفساد والظلم، ولولا ذلك لم يَغِب، فكيف يكون طغيان الفساد والظلم سبباً لظهور الإمام× وخروجه؟

4 ـ وبعكس ما يتوقعه بعض الناس يتّجه العالم اليوم باتجاه سقوط المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية الظالمة. فقد شاهدنا بأعيننا كيف سقط الاتحاد السوفيتي خلال بضعة أشهر، وكان مثله مثل بناء خاو، منخور من الداخل لم يتمكن أحد من دعمه وإسناده عند سقوطه.

ورياح التغيير اليوم تهب على أمريكا وتعرّضها لهزّات عنيفة وقويّة في اقتصادها وأمنها وأخلاقها ومصداقيتها، بوصفها دولة كبرى.

إنّ النظام الجاهلي اليوم آخذ بالعدّ العكسي مؤذناً بالسقوط والانهيار، فكيف نتوقع أن يزداد هذا النظام قوّة وشراسة وضراوة؟

5 ــ على أنّ الذي يوجد في نصوص الغيبة: «يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». وليس «بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً».

وليس معنى ذلك أنّ الإمام ينتظر أن يطغى الفساد والظلم أكثر ممّا ظهر إلى اليوم ليظهر، وإنّما معنى النصّ أنّ الإمام× إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً، ويكافح الظلم والفساد في المجتمع، حتّى يطهّر المجتمع البشري منه كما امتلأ المجتمع البشري بالظلم والفساد من قبل.

روى الأعمش، عن أبي وائل، أنّ أمير المؤمنين× قال في المهدي×: «يخرج على حين غفلة من الناس وإقامة من الحقّ وإظهار من الجور، يفرح لخروجه أهلُ السماء وسكانها، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[1] وفي رواية أُخرى: «يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً»[2].

وفي رأيي أنّ معنى جملة: «كما ملئت ظلماً وجوراً» أن يكثر الظلم والجور حتّى يضجّ الناس منه، ويفقد الظلم غطاءه الإعلامي الذي يخرجه للناس إخراجاً حسناً، فيبرز للناس في صورته الحقيقية، وتفشل هذه الأنظمة في تحقيق ما تعد الناس به من خير، ويبدأ

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي 51: 120.
(2) منتخب الأثر: 162.

الناس بعد هذا الإحباط الواسع بالبحث عن النظام الإلهي الذي ينقذهم من هذه الإحباطات، وعن القائد الربّاني الذي يأخذ بأيديهم إلى الله تعالى. وقد بدأت تتعاقب الإحباطات المتوالية في حياة الناس واحدة بعد أخرى، وكان أعظم هذه الإحباطات سقوط الاتحاد السوفيتي والهزات العنيفة التي تعرّضت لها أمريكا في السنوات الأخيرة، وكلّ واحد من هذه الإحباطات يوجّه الناس إلى النظام الإلهي والقائد الربّاني المنقذ.

هذا، على نحو الإجمال نقد الرأي الأوّل في أسباب تأخير الفرج. والآن نبحث في الرأي الثاني.

الرأي الثاني

يعتمد الرأي الثاني، في فهم أسباب تأخير الفرج وتأخير ظهور الإمام، الأسباب الموضوعية، وفي مقدمتها عدم وجود العدد الكافي من الأنصار من الناحية الكمية، وعدم وجود الكيفية المطلوبة في أنصار الإمام وشيعته من الناحية الكيفية. إنّ الثورة التي يقودها الإمام ثورة كونيه شاملة، يتولّى فيها المستضعفون والمحرومون الإمامة والقيمومة على المجتمع البشري: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}[1]. يرثُ المستضعفون المؤمنون، في هذه المرحلة، ما كان يتداوله الطغاة في ما بينهم من السلطان والمال: {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}، ويتم لهم السلطان على وجه الأرض {وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ}[2]، ويطهّر الإمام في هذه المرحلة الأرض كلّها من لوثة الشرك والظلم «يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»، ولا يبقى - كما في طائفة من الروايات - في المشارق والمغارب، أرض لا ينادى فيها بلا إله إلاّ الله.

ومحور هذه الثورة الشاملة «التوحيد» و«العدل». ومثل هذه الثورة لابدّ لها من إعداد واسع، وتوطئة على مستوى عال من الناحيتين الكمية والكيفية، ومن دون هذا الإعداد وهذه التوطئة لا يمكن أن تتم هذه الثورة الشاملة، في سنن الله تعالى في التاريخ.

دور السُّنن الإلهية والإمداد الغيبي في ثورة الإمام (ع)

لا تتم الثورة، في مواجهة العُتاة والطغاة والأنظمة والمؤسسات الجاهلية الحاكمة والمتسلّطة على رقاب الناس، من دون إمداد غيبي

---

(1) القصص: 5.
(2) القصص: 6.

وإسناد وتأييد من جانب الله بالتأكيد. والنصوص الإسلاميّة تؤكّد وجود هذا الإمداد الإلهي وتصف كيفيته.

إلاّ أنّ هذا المددّ الإلهي أحد طرفي هذه القضية والطرف الآخر هو دور السُّنن الإلهية في التاريخ والمجتمع في تحقيق هذه الثورة الكونية وتطويرها وإكمالها. فإنّ هذه السُّنن لا تتبدّل ولا تتغيّر {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}(1)، ولا تعارض المدَدَ والإسناد الإلهيّين. وشأن هذه الثورة شأن دعوة رسول الله ﷺ إلى التوحيد، والحركة التي نهض بها ﷺ لتحقيق التوحيد في حياة الناس. فقد كانت هذه الحركة موضع الإمداد الإلهي الغيبي بالتأكيد. ونَصَرَ الله تعالى رسوله ﷺ بالملائكة المسوَّمين والمردفين والرياح، وجُند لم يروهم، ونَصَرَهُ على أعدائه بالرُّعب، ولكنّ الله تعالى أمر رسوله ﷺ بأن يعد العدّة لهذه المعركة المصيرية: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة}(2).

وتّمت مراحل هذه المعركة بموجب سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع، ينتصر فيها رسول الله ﷺ على أعدائه حيناً وينتكس حيناً آخر، ويستخدم الجُند والمال والسلاح في هذه المعركة،

(1) الأحزاب: 62.
(2) الأنفال: 60.

ويُخطِّط لها، ويفاجئ العدوّ بوسائل وأساليب جديدة للقتال، ويفاجئه في الزمان والمكان، ولا يعارض شيء من ذلك الإمداد الغيبي الإلهي لرسولهﷺ الذي لا نشكّ فيه، وهما وجهان لقضية واحدة.

ولا تشذّ الثورة الكونية التي يقودها حفيده عن الدعوة والثورة التي قادها هوﷺ، من قبل، بأمر من الله تعالى.

ومن جملة هذه السُّنن التي لابدّ منها، في هذه الثورة الكونية «الإعداد» و«التوطئة» قبل ظهور الإمام و«النصرة» و «الأنصار» حين ظهور الإمام×، ومن دون هذا الإعداد والنصرة والتوطئة لا يمكن أن تتم ثورة بهذا الحجم الكبير في تاريخ الإنسان.

ونحن في ما يلي، نستعرض طائفتين من النصوص، تختصّ أُولاهما بـ «الإعداد والتّوطئة»، والأُخرى بـ «الأنصار والنصرة» لنتأمل فيهما إن شاء الله.

الطائفة الأُولى من النصوص هي النصوص المتعلقة بـ «الموطّئين»، وهم الجيل الذي يُعِدّ الأرض والمجتمع لظهور الإمام#، وثورته الكونية الشاملة. وهذا الجيل بطبيعته يسبق ظهور الإمام×، والطائفة الثانية من النصوص تخصّ «الأنصار»، وهم الجيل الذي ينهض بهم الإمام×. ويقود بهم الثورة على الظالمين. إذن نحن بين يديّ جيلين:

1 ــ جيل «الموطّئين» الذين يمهّدون الأرض لظهور الإمام.

2 ــ جيل «الأنصار» الذين ينهض بهم الإمام×، ويثور بهم على الظالمين. وفي ما يلي نستعرض، إن شاء الله، هاتين الطائفتين من النصوص.

جيل «الموطّئين» في النصوص الإسلاميّة

تضافرت طائفة من النصوص الإسلاميّة، من الفريقين (الشيعة والسنّة)، عن جيل الموطّئين الذين يوطّئون الأرض لدولة الإمام المهدي#، وقد حدّدت هذه النصوص عدداً من الأقاليم الإسلامية المعروفة لهذا الجيل، وأهم هذه الأقاليم التي تخصّ جيل الموطّئين هي: المشرق وخراسان (ويظهر أنّ المشرق هو خراسان) وقم، والري، واليمن، وفي ما يلي النصوص التي تخصّ جيل الموطّئين في هذه الأقاليم.

1 ـ الموطّئون في المشرق

روى الحاكم، في المستدرك على الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود، قال: أتانا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشراً يُعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلاّ أخبرنا به، ولا سكتنا إلاّ ابتدأنا حتّى مرّ فتية من بني هاشم منهم: الحسن والحسين، فلمّا رآهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟

فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد حتّى ترتفع رايات سودٌ في المشرق، فيسألون الحقّ لا يعطونه، ثُمَّ يسألونه فلا

يعطونه، ثُمَّ يسألونه فلا يعطونه ــ فيقاتلون ــ فيُنصرون. فمن أدركه منكم ومن أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي، ولو حبواً على الثلج، فإنّها رايات هدى، يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي»[1].

وعن الإمام الصادق×:

«كأنّي بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يعطونه ثُمَّ يطلبونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما شاءوا فلا يقبلونه حتّى يقوموا ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم (أي

---

(1) راجع المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، كتاب الفتن والملاحم/ حديث رقم 8566 . والمعجم الاوسط للطبراني، حديث رقم 5860 . والمسند الجامع لابي المعاطي النوري 12/ 81 . وسنن ابن ماجة، حديث رقم 4220، باب خروج المهدي. وجمع الجوامع (الجامع الكبير) للسيوطي حرف الهمزة، حديث رقم 2815 وحرف السين حديث رقم 13078 . والديلمي 2 / 323، حديث رقم 3470. ومسند ابن أبي شيبة (فيما رواه عبد الله بن مسعود) حديث رقم 308 . والمصنف في الاحاديث والآثار لابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد حديث رقم 37727 ومصادر اخرى. . وقد اعتمدنا في ترقيم الاحاديث برنامج (المكتبة الشاملة .

الإمام المهدي×)، قتلاهم شهداء»(1).

2 ـ الموطّئون من (خراسان)

عن محمّد بن الحنفية، ويبدو أنّها عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب×:

«ثُمَّ تخرج راية من خراسان يهزمون أصحاب السفياني حتّى تنزل ببيت المقدس توطئ للمهدي سلطانه»(2).

3 ـ الموطّئون من (قم) و(الري)

«رجل من قم يدعو الناس إلى الحقّ يجتمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون وعلى الله يتوكّلون والعاقبة للمُتّقين»(3).

---

(1) الغيبة للنعماني 171، الباب 14 ح 12. وبحار الأنوار 52: 243، ح 116. والسيوف، في هذا الحديث، تعني السّلاح.

(2) الروايات بهذا المضمون يرويها المولى علي المتقي الهندي في البرهان ص 151. ورواه الشيخ يوسف المقدسي الشافعي في (عقد الدرر في اخبار المنتظر) ص 123 .

(3) بحار الأنوار 57: 216/ ح 37 . ميزان الحكمة للري شهري 1 / 256. أهل

4 ــ الموطّئون من اليمن

عن الإمام الباقر× في قيادة اليماني قبل ظهور الإمام:

«وليس في الرايات أهدى من راية اليماني، هي راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم»[1].

الدلالات

1 ــ الجيل الصلب

وأوّل ما يلفت النظر في هذا الجيل هو الصّلابة والقوّة والاستحكام، فهو جيل صعب، شديد المراس، يوطئ الأرض لظهور الإمام، ويواجه وحده طواغيت الأرض. والإمام الصادق× يُفسّر ــ كما في رواية محمّد بن يعقوب الكُليني ــ قوله تعالى: {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْس شَدِيد}[2]. بهذا الجيل، وتصفهم الرواية بهذا الوصف العجيب:

البيت في الكتاب والسنة، الري شهري ص 500 .
(1) غيبة النعماني ص 264. وغيبة الشيخ الطوسي 446/ 443. وإعلام الورى ص 429. وبحار الأنوار 52: 232.
(2) الإسراء: 5.

«قلوبهم كزُبر الحديد، لا تزلّهم الرياح العواصف»...

إنّها قلوب ومن طبيعة القلوب اللين والرقة، ولكنّ هذه القلوب تتحول في مواجهة الطغاة والعتاة إلى زبر من الحديد لا تلين ولا ترق. إنّ الصّلابة وبالقوة من خصائص الأجيال التي يحمّلها الله تعالى مسؤولية التغيير، والثورة، ومن خصائص الأجيال التي يضعها الله تعالى في منعطفات التاريخ الكبرى لنقل الناس من مرحلة إلى مرحلة، وهذا الجيل يحمل هذه الخصائص.

2 ـ جيل التحدّي والتمرّد

ومهمة هذا الجيل هي تحدّي «النظام العالمي» والتمرّد عليه، وما أدراك ما النظام العالمي، وكيف صمّم لخدمة القوى الكبرى ومن دار في فلكها، والاحتفاظ بمراكز القوّة والمواقع الاستراتيجية لها في مختلف مناطق الأرض. إنّها مسؤولية شاقّة وعسيرة ودقيقة يتعهّد بها هذا النظام على مستوى العالم كلّه، وليس على مستوى منطقة أو إقليم من الأرض فحسب.

إنّ هذا النظام يتكوّن من مجموعة من المعادلات والموازنات السياسية والاقتصادية والعسكرية والإعلامية الدقيقة، ومن أنظمة أعضاء الأُسرة الدولية ومن مجموعة من الخطوط الحمراء والخضراء والصفراء فيما بين هذه الأنظمة وهذه المجموعة من الاتفاقات

والتنازلات وتنظيم الأدوار واقتسام الموارد والأسواق ومصادر الثروة ومناطق النفوذ.

أقول: إنّ هذه المجموعة المعقّدة تمكّن القوى الكبرى من السيطرة على الوضع العالمي، كما تمكّن العتلة الصغيرة الإنسان من حمل الأثقال الكبيرة بحركة خفيفة. ولذلك فإنّ النظام العالمي قبل سقوط الاتحاد السوفيتي، وبعد ذلك، يبقى أمراً يحترمه الجميع، لأنّ هؤلاء يستفيدون منه كلٌّ بمقدار حجمه وقوّته... وهؤلاء الشباب من جيل الموطّئين يخترقون ببساطة ومن دون تردّد هذه الخطوط الحمراء، ويغيّرون هذه المعادلات والموازنات التي يتفاهم عليها الجميع ويتلقونها بالقبول والاحترام، ويفسدون على هذه الأنظمة والمؤسسات الدولية استقرارها وتوازنها وهيبتها الدولية. ولا سبيل لها على هؤلاء الشباب، ولا تستطيع أن تتحملهم ولا تتمكن من أن تدفعهم. فإنّ أكثر قوة هذه الأنظمة وهيبتها الدولية في مواجهة أنظمة ومؤسسات من مثلها، وأقوى ما تملك من السلاح هو القتل والسجن والتعذيب والمطاردة.

وهؤلاء لا يخافون شيئاً من ذلك ولا يرهبهم شيء من ذلك.

والوصف الموجود في الرواية دقيق. في وصف هذا الجيل:

«لا تزلّهم الرياح العواصف، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون،

وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمُتّقين».

إنّ الذي لا يجبن ولا يملّ الحرب، ولا تزلّه الرياح العواصف بطبيعة الحال لا يقهر ولا يهزم. وقوة هؤلاء وميزهم أنّهم لا يجبنون، وهذه هي مشكلتهم في حساب الأنظمة والقوى الكبرى، وميزهم الكبرى عند الله ورسوله والمؤمنين.

في موسم الانتخابات العامة للرئاسة الأمريكية، في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق، جرى حوار تلفزيوني ضمن النشاط الإعلامي الذي يقوم به عادة المرشّحون للرئاسة الأمريكية، بين الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر والمرشح الآخر المنافس له على الرئاسة، فقال له هذا الأخير: إنّ أمريكا خسرت الكثير من هيبتها الدولية في حادث تفجير مقرّ القوات البحرية الأمريكية في بيروت (المارينز) وتتحمل أنت ـــ مخاطباً الرئيس الأمريكي ـــ مباشرة مسؤولية هذه الخسارة بالكامل، فقال له الرئيس الأمريكي بالحرف الواحد: وماذا تراني قادراً أن أفعل في مواجهة إنسان جاء هو ليطلب الموت؟! إنّ أقصى ما نتمكن منه أن نردع الناس بالرّعب والإرهاب من أمثال ذلك، فإذا كان الذي يقوم على هذا التفجير هو من يطلب الموت ويلقي بنفسه على الموت فماذا تراني قادراً أن أفعل في ردعه؟ وماذا كنت تفعل أنت لو كنت في مثل موقعي في هذا الظرف؟!

هذه هي بعض ملامح جيل التحدي الذي برز في مواجهة الأنظمة والقوى الكبرى في العراق وإيران وأفغانستان ولبنان وفلسطين والمغرب والجزائر ومصر والسودان، وأخيراً في الشيشان والبوسنة والهرسك.

عجيب أمر هذا الجيل، يسبّ جلاديه ويشتمهم، وهو في قبضتهم وتحت سلطانهم وسياطهم، يصبّون عليه العذاب صبّاً فلا ينثني عن قصده، ولا يلين ولا يئن ولا يصرخ. وإنّ أحدهم ليقول لجلاديه، وهم يعذبونه بما لا يعلم إلاّ الله من فنون التعذيب: سوف أُبقي في نفسك حسرة أن تسمع منّي صرخة تألُّم أو أنين أو توجّع.

3 ــ ردود الفعل العالمية

وردود الفعل العالمية تجاه هذا الجيل، كما تصرّح به هذه النصوص، ردود فعل غاضبة وساخطة، لأنّ هذا الجيل يعرّض هذه المعادلات والموازنات لهزّات عنيفة وحقيقية، ولذلك فإنّ ردود الفعل العالمية تجاهه تتّسم بالغضب والسخط دائماً.

روى أبان بن تغلب عن الإمام الصادق×:

«إذا ظهرت راية الحقّ لعنها أهل الشرق وأهل الغرب. أتدري لم ذلك؟ قلت: لا. قال: للذي يلقى الناس من أهل بيته قبل

ظهوره»[1].

وهذا الجيل الذي يتحدى أنظمة الاستكبار العالمي هو الذي يوطئ الارض لظهوره، ويخلق الرعب والقلق والارتباك لهذه الأنظمة والمؤسسات الدولية، ويسلب استقرارها وراحتها.

روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي (كتاب الروضة) في تفسير قوله تعالى: {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْس شَدِيد...}[2]، عن الإمام الصادق× قال: «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون واتراً لآل محمد، إلاّ قتلوه»[3].

وردود الأفعال العالمية، المذكورة في هذه النصوص، تشبه إلى حدّ كبير ردود الأفعال العالمية اليوم تجاه الصحوة الإسلامية التي يسموها بـ «الأُصولية الإسلاميّة»، وينعتوها بالإرهاب وبأقسى النعوت.

---

(1) بحار الأنوار 52: 262.
(2) الإسراء: 5.
(3) الكافي 8 / 206، ومختصر بصائر الدرجات للحلي 48، وبحار الانوار 51 / 56 .

مشروع التوطئة

التحضير لظهور الإمام (ع)

توطئة الأرض لثورة الإمام# مهمة واسعة وكبيرة، ومعقّدة ينهض بها هذا الجيل في مواجهة عُتاة الأرض وطغاتها المستكبرين وأئمة الكفر.. وهؤلاء العتاة يعدّون جميعاً جبهة سياسية عريضة، رغم كلّ التناقضات القائمة فيما بينهم، وهي جبهة تملك الكثير من أسباب القوة من المال والسلطان السياسي والجيش والإعلام والعلاقات والنُظم، وتستخدم جميع هذه الأسباب في ضرب الصحوة الإسلامية الناشئة وإجهاضها. ولا بدّ لهذا الجيل الذي ينهض بمشروع إعداد الأرض لظهور الإمام من أن يواجه هذه القوّة بالآلية نفسها التي تستخدمها جبهة الاستكبار العالمية وتزيد عليها بالتربية الإيمانية والجهادية والتوعية السياسية. وعليه فإنّ مشروع التوطئة الذي ينهض به جيل الموطئين يتكون من بُعدين:

البُعد الأوّل: التربية الإيمانية والجهادية والتوعية السياسية، وهذا ما تفقده الجبهة المقابلة

البُعد الثاني: الآلية السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية والإعلامية التي لابدّ منها في مثل هذه المعركة.

وليس من شكٍّ في أنّ الفئة المؤمنة التي تعدّ الأرض لظهور

الإمام لابدّ لها من إعداد هذه القوّة، وإن كانت لا تستطيع أن تكافئ الجبهة العالمية المضادة. وهذه الآلية السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية لا تتحقق من غير وجود نظام سياسي ودولة على وجه الأرض. وهذه هي دولة الموطّئين التي وردت الروايات بالتبشير بها كثيراً، ولابدّ منها للإعداد لظهور الامام (ع) وللإعداد لثورته الكونية، ومن دون ذلك لا تتهيأ الأسباب الطبيعية لظهور الإمام... والإعداد لهذه القوة يحتاج إلى عمل وحركة في واقع الحياة ولا يغني «الرصد» و «الانتظار» عنها شيئاً.

جيل الأنصار في الروايات الإسلامية

جيل الموطّئين يسبق جيل الأنصار، وأفراد هذا الجيل هم تلامذة الجيل الذي يسبقهم، ويتميزون منه بمزايا وقيّم يتفرّدون بها. ونحن سوف نستعرض النصوص الواردة في نموذج واحد فقط من هـذا الجيل، وهو شباب «الطالقان».

هذه الروايات وردت بأسانيد الفـريقين: السـنّة والشـيعة وطرقهم.

شباب الطالقان

وسوف نستعرض الروايات التي رواها المحدّثون، مـن السـنّة والشيعة، والمتعلّقة بـ «شباب الطالقان».

عن علي×، قال: (ويحا للطالقان، فإن لله بها رجال، عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي)[1].

---

(1) جامع الاحاديث للسيوطي، مسند علي بن أبي طالب حديث رقم/ 34982. وكنز العمال حديث رقم/ 39677. ووردت روايات اخرى عن رسول الله (ص) أنه (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها. وعلى أبواب الطالقان وما حولها ظاهرين

وعن علي×: (بخ بخ للطالقان، فإن لله تعالى كنوز ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال معروفون، عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي في آخر الزمان)(1).

روى المجلسي في بحار الأنوار: «له كتر بالطالقان ما هو بذهب ولا فضة، وراية لم تنشر منُذ طويت، ورجال كأنّ قلوبهم زُبر الحديد لا يشوبها شكٌّ في ذات الله أشدُّ من الحجر، لو حُملوا على الجبال لأزالوها. لا يقصدون براياقم بلدة إلاّ خرّبوها كأنّ على خيولهم العقبان، يتمسّحون بسرج الإمام× يطلبون بذلك البركة، ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم.

رجال لا ينامون الليل يبيتون قياماً على أطرافهم ويُصبحون على خيولهم، رُهبان بالليل ليوث بالنهار. هم أطوع له من الأَمَة لسيّدها، كالمصابيح كأنّ في قلوبهم القناديل وهم من خشيته

على الحق، لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم حتى يخرج الله كبره من الطالقان فيحيي بهم دينه. . وفي بعض الروايات: حتى ينزل عيسى بن مريم. . أخرجه السيوطي في جامع الاحاديث مسند أبي هريرة. واخرجه ابن عساكر 1 / 259. وكنز العمال / 39723 .

(1) ينابيع المودّة للقندوزي 3 / 298، ط 1416هـ .

مشفقون.

يدعون بالشهادة ويتمنون أن يُقتلوا في سبيل الله. شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحقّ»[1].

أصحاب الإمام شباب

والروايات تشير إلى أنّ الغالب من أصحاب الإمام من الشباب ولا يوجد فيهم من الكهول والشيوخ إلاّ نادراً.

روى المجلسي في البحار: «أصحاب المهدي شباب لا كهول، فيهم إلاّ كمثل كحل العين»[2].

عدد قادة أنصار الإمام

روى المجلسي في بحار الأنوار: «فيجمع الله عليه أصحابه، وهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، ويجمعهم عليه على غير ميعاد فيبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد من رسول الله ﷺ قد توارثته الأبناء عن الآباء»[3]. وفي أغلب الروايات أنّ هذا العدد الذي يبايع

---

(1) بحار الأنوار 52: 308.
(2) المصدر السابق 52: 334.
(3) بحار الأنوار 53: 238 و 239.

الإمام، بين الركن والمقام، هو عدد قادة جيش الإمام#.

الدلالات والتأمّلات

ولابدّ من أن نشير، قبل أن ندخل في التأملات والدلالات، إلى أنّ اللغة المألوفة وقت صدورها لغة رمزية، فالسيوف هي الأسلحة، والخيول هي مراكب القتال، كما أنّ الوصف بـ «رهبان باللّيل ليوث بالنّهار» تعبير رمزي ومجازي من العبادة والتهجّد في الليل والشجاعة والجرأة في النهار.

وهذه لغة معروفة لِمَن يألف طريقة التعبير في النصوص والروايات الإسلاميّة، والآن نبدأ بالحديث عن الدلالات والتأمّلات في هذه الروايات.

1 ـ كنوز ليست من ذهب ولا فضّة

أنصار الإمام كنوز، والكتر هو الثروة المخبوءة يجهل الناس مكانها، وقد يكون الكتر في بيت الإنسان وتحت قدميه، ولكنّه يجهله وأنصار الإمام كنوز مُخبّأة، قد يكون أحدهم في بيت أحدنا أو بجواره أو في مدينته، وهو لا يعرفه وقد يزدريه، وتحتقره عيون الناس التي لا تعرف أن تنفذ إلى الأعماق لتعرف الكنوز، إنّ هذه البصيرة واليقين والإقبال على الله والشجاعة والجرأة والذوبان في

ذات الله التي يتّصف بها هؤلاء لا تتكون دفعة بل كانت موجودة في نفوس هؤلاء الشباب، إلاّ أنّها كانت خافية عن أعين النــاس، كما تختفي الكنوز عن العيون.

2 ـ القوّة والوعي

يقول تعالى، في صفة عباده الصـالحين إبـراهيم وإسـحاق ويعقوب^: {وَاذْكُرْ عِبَدَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَة ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ}[1]. وهذا من أروع الوصف.

فإنّه لابدّ للبصيرة من قوّة، ومن دون القوّة تضـيع البصـيرة وتخمد ولا يحمل البصيرة إلاّ المؤمن القوي، فـإذا ضـعف فقـد البصيرة، ولابدّ للقوة من بصيرة، فإنّ القوّة من دون بصيرة تتحول إلى لجاج وعناد واستكبار.

ويصف الله تعالى إبراهيم وإسحاق ويعقـوب^ بـأنهم أُولي (الأيدي) و(الأبصار) أي القوّة والبصيرة.

وتُشير النصوص التي قرأنا طائفة منها قريباً أنّ أنصار المهدي× أولو الأيدي والأبصار.

---

(1) سورة ص: 45 ـ 47.

3 ـ الوعي والبصيرة

وتعبير الرواية عن حالة الوعي والبصيرة لدى أنصار الإمام، تعبير عجيب «كالمصابيح، كأنّ في قلوبهم القناديل» وهل يمكن أن يخترق الظلام القنديل؟ قد يحاصر الظلام القناديل ولكنّه لا يستطيع أن يخترقها.

وأنصار الإمام لا ينفذ إلى نفوسهم ووعيهم الشكّ والريب، مهما تكاثفت ظلماتهما ومهما تعاقبت الفتن. لذلك لا يدخلهم الشكّ ولا يتردّدون ولا يتراجعون ولا ينظرون وراءهم إذا مضوا في الطريق، والتعبير في الرواية: «لا يشوبها شكّ في ذات الله» هو أمر غير الشكّ، إنّه خليط من الشكّ واليقين، أو لحظات من الشكّ تخترق حالات اليقين ولا تثبت لليقين الذي يهزمها، وهذا أمر يحصل للكثير من المؤمنين، إلاّ أنّ أنصار الإمام لا يشوب يقينهم شكّ، يقين خالص من دون شائبة من الشكّ والريب.

4 ـ عزم نافذ

وهذه البصيرة تمنحهم عزماً نافذاً لا تردّد ولا تراجع فيه، والتعبير عن هذا العزم بـ «الجمر» تعبير رائع ومُعبّر، فإنّ الجمر ينفذ ويخترق ما دام ملتهباً، والتعبير هكذا «أشدّ من الجمر» وهو أروع تعبير أعرفه عن نفوذ العزم، ولستُ أدري ماذا أودعَ الله

تعالى في نفوس شباب الطالقان من كنوز الوعي واليقين والعــزم والقوّة، فإنّ التعبيرات الواردة في هذا النصّ تعابير غير مألوفة كأنّ الحديث عنهم حديث وَجدٍ وهيام «زُبر الحديد، كالمصابيح، كأنّ في قلوبهم القناديل، أشدّ من الجمر، رهبان باللّيل ليوث بالنّهــار» وكأنّ النصّ يستفرغ كلّ ما في وسع اللغة ليتمكن من التعبير عن وعي هؤلاء الشباب وبصيرتهم وقوتهم ونفوذ عزمهم.

5 ــ القوّة

ويصف النصّ شباب الطالقان بقوة هائلة لا عهد لنا بها في مَنْ نعرف من الشباب. تأمّلوا هذه العبارة: «كأنّ قلوبهم زُبر الحديد».

أرأيت أحداً يتمكّن من أن يصهر أو يكسر أو يلين زُبر الحديد بقبضة يده؟ «لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براياتهم بلدة إلاّ خرّبوها كأنّ على خيولهم العقبان».

هذه تعابير عجيبة تنبئ عن قوة هائلة، وهذه القوة ليست مــن نوع القوة التي يملكها طواغيت الأرض، وإنّما هي قوة عزم وإرادة وقوّة يقين.

6 ــ الاستماتة وحبّ الشهادة

«يدعون بالشهادة ويتمنّون أن يُقتلوا في سبيل الله». إنّ الموت

الذي يرعب الشيوخ في التسعينات، وبعد المئة من أعمارهم، وقد فقدوا جميع لذات الحياة وشهواتها...

أقول: إنّ الموت الذي يرعب الشيوخ يهيم به هؤلاء الشباب وهم في غضاضة العمر.

وحبّ الشهادة ينبع من أمرين ويُنتج أمرين في حياة الناس.

أمّا الأمران اللّذان هما مصدر حبّ الشهادة في النفس فهما الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله، فإذا كافح الإنسان حبّ الدنيا في قلبه وأزال منه التعلّق والاغترار بها فقد قطع الشوط الأوّل من الطريق وهو أشقّ الشوطين.

والشوط الآخر هو أنْ يتعلق القلب بحبّ الله تعالى ويهيم بذكره وحبّه، وينصرف صاحبه إلى الله تعالى بكلّ قلبه ووجهه، وهؤلاء لا يهمهم من أمر الدنيا شيء، يعيشون مع الآخرين في الدنيا ويحضرون معهم الأسواق والاجتماعات غير أنّهم غائبون عنها بقلوبهم، ويصدق فيهم الحاضر الغائب.

هؤلاء المستميتون الذين يُحبّون الموت الذي يُخيف الناس، ويدعون بالشهادة ويجدون فيها لقاء الله، ويشتاقون إليها، كما يشتاق الناس إلى لذاتهم في الدنيا، أو أعظم من شوق الناس إلى لذاتهم من الدنيا.

وقليل من الناس مَن يفهم هؤلاء. أمّا الناس في الغرب فلا سبيل

لهم إلى أن يفهموهم.. فهم يصفونهم حيناً بالانتحاريين، والمنتحر هو الذي يملّ الدنيا وينتهي فيها إلى طريق مسدود، وهؤلاء الشباب يجدون أبواب الدنيا أمامهم مفتوحة، تضحك لهم الدنيا وتطلّ عليهم بكلّ بهجتها وزينتها وإغرائها. فلم يملّوا الدنيا لم يصلوا فيها إلى طريق مسدود، وإنّما أعرضوا عنها، لأنّهم اشتاقوا إلى لقاء الله.

ويصفونهم بالإرهاب، وهؤلاء ليسوا بإرهابيين، ولو قالوا: إنّهم لا يخافون الإرهاب لكانوا أقرب إلى الواقع.

وهذان هما مصدر حبّ الشهادة والقتل في سبيل الله.

أمّا الذي ينتج عن حبّ الشهادة فهو العزم والقوّة، إنّ المُستميت الذي تمكّن من أن يُحرّر نفسه من الدنيا يجد في نفسه من العزم والقوّة ما لا يجده سائر الناس.

وهذان، أي العزم والقوّة، لا علاقة لهما بما في أيدي الناس من الجبهة الأُخرى من أسباب القوّة المادية، من دون أن ننفي ضرورة تلك الأسباب وأهميتها في ظهور الإمام وقرب الفرج.

7 ــ تعادل الشخصية

«ليوث بالليل رهبان بالنهار». من أبرز معالم هذا الجيل التعادل في الشخصية، وهذا سرّ قوّتهم ونفوذهم، تعادل بين الدنيا والآخرة. وتعادل بين القوّة والبصيرة. وتعادل بين قيام الليل بين يدي الله في

ظلمات الليالي وخوض الصراع المرير مع أئمة الكفر والاستكبار في النهار. والله تعالى يحبُّ هذه الموازنة والتعادل، ويكره الإفراط والتفريط والجنوح إلى اليمين واليسار. يقول تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}(1).

ويقول تعالى في ما يعلّمنا من الدعاء: {رَبَّنَآ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً}(2).

ويقول تعالى: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا}(3).

ومن هذه الموازنة التعادل بين الخشوع والعبودية لله والتذلّل للمؤمنين والصرامة والقوة مع الكافرين: {أَذِلَّة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّة عَلَى الْكَافِرِينَ}(4).

ومن هذه الموازنة التعادل بين الاتّكال على الله والجهد والعمل والتخطيط. ويصف أمير المؤمنين× همّام&، كما في رواية الشريف الرّضي، أطرافاً من هذه الموازنة والتعادل في شخصية «المُتّقين»، فيقول:

---

(1) القصص: 77.
(2) البقرة: 201.
(3) الإسراء: 29.
(4) المائدة: 54.

«فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في شدّة.

يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، ويبيت حذراً ويصبح فرحاً، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل. في الزلازل وقــور، وفي الرخاء شكور، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة»[1]. وهذه الموازنة من الملامح الواضحة في شخصية أنصار الإمام.

8 ــ رهبان باللّيل ليوث بالنّهار

وإلى هذه الموازنة تشير الرواية «رهبان باللّيل ليوث بالنّهار». وللّيل والنهار دوران مختلفان في بناء شخصية الإنسان. ولكنّ هذين الدّورين متكاملان يكمّل أحدهما الآخر ولا بدّ منهما معاً في بناء شخصية الإنسان المؤمن الداعية والمجاهد، فلولا قيام اللّيل لم يثبت الإنسان في مواجهة العقبات الصعبة في النهار، ولم يتمكن من مواصلة الحركة على طريق ذات الشوكة في النهار. ولولا حركة النهار لعزل اللّيل صاحبه من القيام برسالة الدعوة إلى الله في وسط المجتمع، وفقد الإنسان دوره الثاني في الحياة الدنيا بعد عبودية الله، وهو الدعوة إلى عبودية الله.

---

(1) نهج البلاغة، خطبة المتّقين.

وفي القرآن تأكيد على دور الليل في إعداد الإنسان للدعوة إلى الله، واهتمام به. ومن أوائل ما نزل على رسول الله ﷺ، في بدء الدعوة والوحي، سورة المُزَّمِّل المباركة التي يدعو الله تعالى فيها نبيّه إلى أن يعدّ نفسه والزمرة المؤمنة معه في اللّيل إعداداً لتحمُّل القول الثقيل في النهار.

يقول تعالى مخاطباً نبيّه: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً}[1].

والتعبير عن اللّيل بالنَّشئة دقيق و معبّر، فإنَّه ينشئ الإنسان الذي يقيمه إنشاءً ويصنعه صنعاً للمهمات الصعبة ويوطّئ شخصيّته ويُعدّها إعداداً للمهام الكبيرة ويقوّم سلوكه.

و«أقوم قيلاً» يعني تقويماً: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً}. أي: أكثر تسديدا لمنطق الإنسان ومقاله.

وفي خطبة المُتّقين يصف الإمام أمير المؤمنين× لهمّام&، كما في رواية الشريف الرّضي، شطري حياة المُتّقين: و هما اللّيل والنهار فاستمع إليه:

---

(1) المُزَّمِّل: 1 ـ 7.

«أمّا اللّيل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم، يستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم. وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم.

أمّا النّهار فحلماء علماء أبرار أتّقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر، فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول: لقد خُولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم».

إنّ اللّيل والنّهار شطرا حياة الإنسان وهما يتكاملان، ولليل رجال ودولة وللنّهار رجال ودولة، ورجال النهار تنقصهم دولة اللّيل في القيام والسجود بين يدي الله، ورجال اللّيل تنقصهم دولة النّهار في الدّعوة إلى الله وإقامة الحقّ وتعبيد الناس لله، وأنصار الإمام المهدي# رجال دولة اللّيل والنّهار، وآتاهم اللّه دولة اللّيل والنّهار معاً.

سمة العبيد من الخشوع عليهم
لله إن ضمّتهم الأسحار
فإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم
بيض القواضب أنّهم أحرار

ولولا أنّهم رجال دولة اللّيل لم يتمكّنوا من مواجهة طغاة

الأرض بمفردهم، ولولا أنّهم رجال النّهار لم يتمكّنوا من تطهير الأرض من لوثة الشرك وإقامة التوحيد والعدل على وجه الأرض، ولو لم يكونوا من رجال النّهار لم يحكّموا التوحيد والعدل في حياة الناس. ولو لم يكونوا من رجال اللّيل لأخذهم الغرور وشطّ بهم عن الصّراط المستقيم.

مرحلتان أم جيلان

إذن نحن أمام جيلين، أوّلهما جيل يشهد سقوط التجربة الاشتراكية الماركسية، والتجربة الديمقراطية الرأسمالية وانهيارهما ويوطئ الأرض لظهور الإمام#، وهو «جيل الموطّئين»، وثانيهما «جيل الأنصار».

هل هما جيلان فقط أم جيلان و مرحلتان من التاريخ؟

لست أعلم، ولكنّ من المُستبعد أن يتمّ هذا العمل العظيم في جيل واحد.

واجبات مرحلة «الانتظار» ومسؤولياتها

نحن الآن نعيش في مرحلة «الانتظار<، وقد تكون أطول مرحلة في تاريخ الإسلام، فما هي أهم واجباتها ومسؤولياتها؟

في ما يأتي عرض موجز لتلك الواجبات والمسؤوليات:

أوّلاً: "الوعي"

والوعي على أنحاء:

أ ـ وعي التوحيد: وأنّ الكون كلّه من الله وكلّ شيء مسخّر بأمره، وهو قادر على كلّ شيء، وكلّ شيء في السّماء والأرض جُند مُسخّر له لا يملك من أمره شيئاً.

ب ـ وعي وعد الله وسط الأجواء السياسيّة الضاغطة: وفي مرحلة الضعف والانحسار، وفي أجواء النكسة. وإنّ من أشقّ الأمور في مثل هذه الأجواء الضاغطة أن يتلقّى الإنسان بوعي قوله تعالى: {وَلاَتَهِنُواْ وَلاَتَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[1]

وقوله تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ}[2].

---

(1) آل عمران: 139.
(2) القصص: 5 ـ 6.

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[1].

وقوله تعالى: {لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}[2] وقوله تعالى: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ}[3].

ج ــ وعي دور الإنسان المسلم على وجه الأرض: وهو القيمومة والشهادة والإمامة للبشرية. يقول تعالى:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[4].

د ــ وعي دور هذا الدين في حياة البشرية: في إزالة الفتنة والعوائق من طريق الدعوة، يقول تعالى:

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}[5].

هـ ــ وعي السُّنن الإلهية للتاريخ والمجتمع: وضرورة الإعداد والتمهيد والحركة والعمل ضمن هذه السُّنن واستحالة اختراقها، {فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً}[6] ولذلك يأمر الله تعالى المسلمين

---

(1) الأنبياء: 105.
(2) المجادلة: 21.
(3) الحج: 40.
(4) البقرة: 143.
(5) البقرة: 193.
(6) فاطر/ 43 .

بالإعداد لهذه المعركة الفاصلة {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ}[1].

ثانياً: الأمل

وعندما يكون الأمل بوعد الله لعباده وبحوله وقوّته وسلطانه فإنّه لا ينفد، ولا يخيّب صاحبه. وبهذا الأمل يشدّ الإنسان المسلم حبله بحبل الله وحوله بحول الله، ومَن يشدّ حبله بحبل الله فلا نفاد لأمله وقوّته وسلطانه.

ثالثاً: المقاومة

والمقاومة نتيجة الأمل. إنّ الغريق الذي ينظر إلى فريق الإنقاذ يتقدّم إليه يغالب أمواج الماء، ويجد في عضلاته قوةً فوق العادة لمغالبتها.

رابعاً: الحركة

والحركة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله وإعداد الأرض لظهور الإمام وقيام دولته العالمية، وإعداد جيل

---

(1) الأنفال: 60.

مؤمن يتولى نُصرة الإمام والإعداد لظهوره وعياً وإيماناً وتنظيماً وقوة.

خامساً: الدعاء لظهور الإمام

ولا شكّ في أنّ الدعاء مع العمل والحركة إلى جنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عوامل تقريب ظهور الإمام.
وقد وردت أدعية كثيرة في أمر ظهور الإمام وفي ثواب الانتظار.
منها هذا الدعاء الذي يردّده المؤمنون كثيراً.
«اللّهمّ كن لوليك الحجّة ابن الحسن، صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة، وليّاً وحافضاً، وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً، حتّى تسكنه أرضك، طوعاً وتُمتعه فيها طويلاً».

شكوى ودعاء

وفي دعاء الافتتاح، المنقول من الإمام الحجّة#، نقرأ هذه الشكوى المرّة، وهذا الدعاء العذب:
«اللّهمّ إنّا نشكو إليك فَقْد نبيّنا، وكَثْرة عدوّنا، وقلّة عددنا، وشدَّة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا...
اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تُعزُّ بها الإسلام وأهله

وتُذِلُّ بها النِّفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة».

الانتظار الموجّه

إذن الانتظار انتظاران: الانتظار الواعي والموجّه والانتظار غير الموجّه، والثاني هو «الرصد» الساذج لعلامات الظهور: الصيحة، الخسف، ظهور السفياني، الدجّال. ولست أنفي هذه العلامات، فقد وردت فيها روايات كثيرة في مجموعة روايات «الملاحم»، ورغم أن هذه الروايات لم تُدرس حتّى الآن دراسة سندية بصورة علمية دقيقة، إلاّ أنّني متأكّد سَلفاً من صحّة طائفة منها.

ولكنّني في الوقت نفسه أُعارض أُسلوب «الرصد» في مسألة الانتظار، وأعتقد أنّ هذا الأُسلوب يحرف الأُمّة عن واجباتها ومسؤولياتها في مرحلة الانتظار ويحرّف الأمة عن الأُسلوب الصحيح للانتظار.

والصحيح هو «الانتظار الموجّه». والانتظار الموجّه هو العمل والحركة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله والجهاد. وهذه هي العوامل الرئيسية لظهور الإمام (عجّل الله فرجه)، لأن أمر ظهور الإمام (ع) يرتبط بسلسلة من السُّنن الإلهية الموضوعية في التاريخ والمجتمع، وهذه السُّنن لا تتحقّق إلاّ بالعمل

والحركة.

والعلامات المذكورة في الروايات صحيحة على نحو الإجمال، ولكنّها في رأيي غير موقوتة بوقت خاص، وقد وردت روايات تصرِّح بتكذيب الوقّاتين، والعمل والحركة هو الذي يقرّب ظهور الإمام.

يقول عبد الرّحمن بن كثير: «كُنّا عند أبي عبد الله× إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر متى هو؟ فقال: يا مهزم، كذب الوقّاتون وهلك المستعجلون»[1].

ويسأل فضيل بن يسار الإمام الباقر×: أَلِهذا الأمر وقت؟ فقال×: «كذب الوقّاتون»[2].

إذن تعني هذه العلامات التوقيت الدقيق لظهور الإمام. والصحيح أنّه مرتبط بأعمالنا. صحيح أنّ الخسف والصيحة من علامات الظهور، ولكنّ عملنا هو الذي يقرّبهما ويبعّدهما، وهذا تصحيح وتوجيه ضروري لابدّ منه لمفهوم الظهور، وهو التحوّل من البحث عن علائم الظهور إلى البحث عن (عوامل) الظهور،

---

(1) إلزام الناصب 1: 260.
(2) المصدر السابق.

وهو منهج عملي إيجابي في هذه المسألة الحساسة.

تصحيح مفهوم الانتظار

نحن اليوم نعيش في عصر يكثر فيه الحديث عن ظهور الإمام ولست أعرف في عصور تاريخنا القريب والبعيد عصراً كان الحديث عن ظهور الإمام ودولته يأخذ من اهتمام الناس هذا المأخذ القوي.

إذن «الانتظار» سمة بارزة من سمات عصرنا. ولكن ــ مع الأسف ــ لم يجرِ تصحيح وتوجيه على مستوى الجمهور لمسألة الانتظار، ويبحث شبابنا عن ظهور الإمام# وعلامات ظهوره في بطون الكتب، وفي رأيي أنّه اتّجاه غير صحيح، والصحيح أن نبحث عن ظهور الإمام والثورة الكونية التي يقودها في واقع حياتنا السياسيّة والاجتماعيّة.

إنّ علامات ظهور الإمام لا تستبطنها الكتب بقدر ما نجدها في واقعنا السياسي والحضاري المعاصر، وفي وعينا ومقاومتنا، ووحدة كلمتنا، وانسجامنا السياسي، وتضحيتنا وقدراتنا الحركية والسياسيّة والإعلاميّة.

إنّ المنهج الذي يتّبعه بعض شبابنا في البحث عن علامات ظهور الإمام في بطون الكتب منهج سلبي بالتأكيد. ويجب علينا

تصحيح مفهوم الانتظار وتوجيه حالة الانتظار بالاتجاه الإيجابي.

والفرق بين المفهومين يتمثّل في أنّ المفهوم الأوّل يجعل دور الإنسان في الانتظار دوراً سلبياً، والمفهوم الثاني يجعل دور الإنسان في عملية ظهور الإمام دوراً إيجابياً وفاعلاً ويربطها بحياتنا وواقعنا السياسي والحركي ومعاناتنا وعذابنا.

ولا يتمّ ظهور الإمام (عجل الله فرجه) حتى تمرّ هذه الأمة بفتنة صعبة يسقط فيها ناس كثيرون، ويسلم فيها آخرون، ولابد من الإعداد لمواجهة الفتن المقبلة علينا بالوعي والبصيرة أولاً، والتقوى ثانياً، والعطاء والعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثالثاً، وجهاد الطغاة وجبابرة الأرض والعتاة رابعاً.

ومن دون المرور بهذا العبور الصعب لا يتم ظهور الإمام عجّل الله فرجه. . ولقد تحقق إلى اليوم طرف من هذه الفتن بالتأكيد، وبقي علينا أن نعدّ أمتنا وأنفسنا لخوض عباب هذه الفتن بسفن النجاة، وهي البصيرة والتقوى والعمل.

عن صفوان بن يحيى، قال: قال أبو الحسن الرضا×: (والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا أو تميزوا)[1].

---

(1) غيبة النعماني، باب 12 ما يلحق الشيعة من التمحيص. وفي الكافي 1 /

وعن منصور الصيقل، عن أبيه، قال: دخلت على أبي جعفر× وعنده جماعة، فبينما نحن نتحدث وهو على بعض أصحابه مقبل، اذا التفت الينا، وقال: في أي شيء أنتم ها هنا؟ هيهات هيهات، لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تمحصوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميزوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم إلا بعد يأس، ولا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقى ويسعد من سعد)[1].

وروي عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن× في تفسير قوله: تعالى: {أ لم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ}[2] قال: «يفتنون كما يُفتن الذهب ثُمَّ قال: يُخلصون كما يُخلص الذهب»[3].

370: كنا جلوساً وأبو عبد الله (ع) يسمع كلامنا.

(1) غيبة النعماني، باب 12 ما يلحق الشيعة من التمحيص. وفي الكافي 1 / 370: كنا جلوساً وأبو عبد الله (ع) يسمع كلامنا

(2) العنكبوت: 1 ـ 2.

(3) إلزام الناصب 1: 261.

إن بين أيدينا عبو صعب في الدعوة إلى الله، وجهاد الطغاة الجبابرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوعية والتثقيف لاحتياز الفتن الصعبة التي تواجهنا، وإعداد جيل ينهض بهذه المسؤوليات الصعاب.

وهذه هي العوامل الأساسية لظهور الإمام (عجل الله فرجه).

إذن يرتبط ظهور الإمام× بعملنا وواقعنا وابتلائنا ومحنتنا، وسعادتنا وشقائنا أكثر ممّا يرتبط بالعلامات الكونية المذكورة في الكتب. وهذا مفهوم يجب أن نعمّقه ونثبّته.

من ينتظر الآخر نحن أم الإمام×؟

وبناءً على هذا المفهوم ينقلب الأمر، ويكون الإمام× هو الذي ينتظر حركتنا ومقاومتنا وجهادنا، وليس العكس فإنّ أمر ظهور الإمام إذا كان يتّصل بواقعنا السياسي والحركي فإنّنا نحن الذين نصنع هذا الواقع.

وبالتالي فنحن نستطيع أن نوطّئ لظهور الإمام بالعمل والحركة ووحدة الكلمة والانسجام والعطاء والتضحية والأمر بالمعروف، وبإمكاننا أن نؤخر ذلك بالتواكل والغياب عن ساحة العمل، والتهرّب من مواجهة المسؤوليات.

قيمة الانتظار

وهذا المفهوم الإيجابي والموجّه لـ «الانتظار» هو الذي يستحق هذه القيمة الكبيرة التي تعطيها النصوص الإسلامية له.

فقد روي عن رسول الله ﷺ: «أفضل أعمال أُمّتي الانتظار»[1].

وروي عنه ﷺ: «انتظار الفرج عبادة».

سأل زيد بن صوحان العبدي أمير المؤمنين× ضمن اسئلة كثيرة نتجاوزه، قال: يا أمير المؤمنين، أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: (انتظار الفرج)[2].

وفي أمالي الشيخ الطوسي، عن أمير المؤمنين× في الإجابة على سؤال الشيخ الشامي، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: (انتظار الفرج)[3].

وفي غرر الحكم للآمدي، عن أمير المؤمنين×: (أول العبادة انتظار الفرج)[4].

وفي حديث محمد بن مسلم عن أبي عبد الله×، قال: قال

---

(1) إلزام الناصب 1: 469.
(2) الأربعون حديثاً للحر العاملي.
(3) الأمالي للشيخ الطوسي.
(4) غرر الحكم للآمدي.

علي×: (انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله)[1].

وهذه القيمة الكبيرة الواردة في هذه الروايات تناسب هذا التصوّر الإيجابي عن الانتظار، وأبعد شيء عن التصوّر السلبي للانتظار بمعنى «الرصد».

(1) الخصال للصدوق 2 / 740 .

علاقة الحركة بالانتظار

بين الحركة والانتظار علاقة متبادلة.

وقد تحدّثنا عن علاقة الانتظار بـ «الحركة»، والآن نتحدّث، إن شاء الله تعالى، عن علاقة الحركة بـ «الانتظار».

العمل الحركي

العمل الحركي عملية هدم وبناء، ولذلك فهو يقترن دائماً بالتحدّي والمقاومة والمعاناة والعذاب، ولو كانت الحركة بناءً فقط من دون هدم لم تكن لتتطلّب كلّ هذا الجهد والعناء. فإنّ الهدم يقع على كيان سياسي قائم، ولكلّ كيان منتفعون ينتفعون به ويدافعون عنه.

والدعوة إلى التوحيد حركة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة. ولذلك تقترن هذه الدعوة بـ «الجهاد والقتال» {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}[1].

فلا يمكن أن تشقّ هذه الدعوة طريقها إلى حياة الناس من دون إزالة الفتنة وإزالة العقبات التي يضعها المنتفعون من الكيان السياسي

---

(1) الأنفال: 39.

للشرك. ولا يمكن إزالة الفتنة من طريق الدعوة إلاّ بالقتال والجهاد. وذلك لأنّ التوحيد لا يستقرّ في فراغ سياسي واجتماعي، وإنّما يستقر في موضع الشرك، ولا تقوم دعوة إلى الله إلاّ على أنقاض الشّرك.

ضريبة العمل الحركي

ولهذا السبب فإنّ القيِّمين على الشرك وقادته يبذلون كلّ ما في وسعهم لإعاقة حركة التوحيد وإثارة الفتن وزرع الألغام والعقبات في طريق الدعاة إلى الله. والدعوة إلى التوحيد تتطلب إزالة هذه الفتن جميعها ومواجهة جميع هذه المعوّقات وتحدي كيان الشرك.

وهذان الأمران: التحدي والمواجهة يكلفان الدعاة إلى الله تعالى كثيراً في أنفسهم وأهلهم وأموالهم، ويتطلّبان منهم جُهداً كبيراً ويحمّلهم خسائر واسعة.

التكليف بالحركة

لهذه الأسباب يعطي القرآن اهتماماً كبيراً وأكيداً للتكليف بالحركة، ولولا هذه المشقّة والمعاناة في حركة التوحيد لم يكن وجه لكلّ هذا التأكيد. يقول تعالى:

{وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ}[1].

{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ}[2].

{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}[3].

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ}[4].

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}[5].

{جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ}[6].

{وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}[7].

{انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}[8].

{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}[9]

{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ}[10].

---

(1) البقرة : 238.
(2) لقمان : 17.
(3) هود : 112.
(4) النحل : 125.
(5) العلق : 1.
(6) التوبة : 73.
(7) البقرة : 218.
(8) التوبة : 41.
(9) البقرة : 191.
(10) البقرة : 190.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ}(1).

{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى* قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى* قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }(2).

{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}(3).

{ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً}(4).

وهذه جميعها تعليمات حركية باتجاه تغيير الواقع وإحلال التوحيد محل الشّرك وإزالة الفتن والعوائق من طريق الدعوة.

ضعف الإنسان

يضعف الإنسان عن القيام بمثل هذه المسؤولية الصعبة، ولا يجد في نفسه القدرة على مواجهة جميع هذه العقبات والعوائق، فإنّ المعركة بين جبهتي التوحيد والشّرك ضارية وشرسة، فيجد الإنسان في نفسه ضعفاً من مواجهة هذه الجبهة لوحده، أو مع قلّة من المؤمنين ويستجيب لهذا الضعف، وينسحب عن المواجهة إلاّ أن

---

(1) الأنفال: 39.
(2) طه 43 - 46 .
(3) المدثر 1 - 3 .
(4) المزمل 1 - 2 .

يعصمه الله تعالى.

والاستجابة لعوامل الضعف في نفس الإنسان هي أوّل العوائق التي يواجهها العاملون في سبيل الله، ويبرز هذا الضعف على شكل الخوف والجبن من الطاغوت وأعوانه، والتعب من مواصلة الطريقة، واليأس من جدوى الاستمرار، وحبّ العافية وإيثار الراحة، والذين تساقطوا على الطريق كثيرون ممّن لم يتمكّنوا من إكمال المسيرة.

كيف نُحصّن أنفسنا من السقوط؟

ولابدّ من أن نبحث عن العوامل والأسباب التي تحصّننا في هذه المسيرة من السقوط وتعصمنا من الشّيطان، ومن ضعف أنفسنا، ووسائل التحصُّن والعصمة في حياة العاملين كثيرة.

وأهمّها أربعة يذكرها القرآن:

1 ــ الاستعانة بالصّبر والصّلاة.

2 ــ الولاء.

3 ــ الميراث.

4 ــ الانتظار.

وفي ما يلي توضيح موجز لهذه الوسائل الأربع:

1 ـ الاستعانة بالصَّبر والصَّلاة

يقول تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ}(1).

ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ}(2).

وفي سورة هود يشدّ الله على قلب رسولهﷺ في وسط المعركة الضارية، التي كان يخوضها مع أئمة الشّرك في الجزيرة، فيقصّ له قصّة مسيرة التوحيد الطويلة. ثُمَّ يقول تعالى لرسولهﷺ بعد استعراض هذه المسيرة الطويلة: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَتَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلاَتَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَتُنصَرُونَ * وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}(3).

والصَّبر هو الثبات لسُنن الله تعالى. وتجري المعارك بموجب سُنن الله. والذي يريد أن يربح المعركة لابدّ من أن يعرف هذه السُّنن

---

(1) البقرة: 45.
(2) البقرة: 153.
(3) هود: 112 ـ 115.

ويثبت لها ويقابلها بما يكافئها ويقابلها في سنن الله.

ولابد من إعداد القوّة المكافئة لقوّة العدوّ في ساحة المعركة، أو في الساحة السياسيّة، أو الإعلام... ولابد من الصَّبر.

إنّ الصَّبر ليس بمعنى أن يتحمّل الإنسان العدوّ، بل بمعنى أن يقاوم ويثبت للعدوّ، ولا ينهار ولا ينسحب من مواجهته، حتّى يتمكّن من ردعه ودفعه بقوّة مكافئة لقوّته، وهو المعنى الإيجابي للصَّبر.

والصَّلاة تُمثّل الارتباط بالله وذكره، والإنسان المسلم في وسط المعركة لابدّ من أن يستعين بالله ويذكره ذكراً كثيراً، ويستمدّ القوّة والعزم من الله ــ ويشدّ حبله بحبل الله ــ، فإذا وَصَل الإنسان حبله بحبل الله تعالى في ساحة المعركة، فإنّه لا يخاف ولا يجبن ولا يضعف، وهذا هو معنى الصَّبر والصَّلاة.

2 ــ الولاء

المسلمون نسيج واحد، بعضهم من بعض، تربط بعضهم ببعض علاقة عضوية متينة هي علاقة الولاء. وهذا الولاء هو الولاء على الخط الأُفقي في مقابل الولاء لله تعالى ورسوله وأولياء الأُمور، وهو الولاء على الخط العمودي في نسيج المجتمع الإسلامي. وإلى هذه العلاقة العضوية التي تشدُّ الأُمّة المسلمة بعضها ببعض، وتكوِّن منها

كتلة مترابطة واحدة تشير الآية الكريمة: {وَالْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض}[1]. وهذا الولاء يتضمّن التحابب والتناصر والتضامن والتكافل والتعاون والتسالم والتناصح.

والأُمّة التي يرتبط بعضها ببعض بهذه الوشائج القويّة أُمّة متماسكة قويّة في ساحة المعركة، ولأمر ما يجعل الله تعالى أساس العلاقة بين أطراف هذه الأُمّة وأعضائها على أساس الولاء. فإنّ علاقته أمتن علاقة في الأُسرة الواحدة.

ولّما كانت مهمّة هذه الأُمّة الأُولى هي المواجهة والتحدّي في ساحة الصراع، فلابدّ من أن تتمتّع ببناء داخلي قويّ ونسيج محكم ومتين، لتستطيع أن تقاوم ضراوة المعركة الحاسمة التي تدخلها هذه الأُمّة. ومن دون هذا الولاء المتين الذي يشدّ بعض المسلمين إلى بعض لا تستطيع هذه الأُمّة أن تقاوم جبهة الكفر والنفاق في هذه المعركة المصيرية. وهذه الأُمّة مجتمعة تعتصم بحبل الله، وهي كتلة واحدة، ومجموعة واحدة، وأُسرة واحدة، في مواجهة أئمة الكفر {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَتَفَرَّقُواْ}[2].

وفي هذه الآية يأمرهم الله تعالى بالاعتصام أوّلاً بحبل الله في

---

(1) التوبة: 71.
(2) آل عمران: 103.

ساحة المعركة، وأن يكون هذا الاعتصام من قبل الجميع {جَمِيعاً}.

فإنّ الصراع يتطلّب من كلّ من الطرفين المتصارعين أن يستحضر كلّ قوّته. وقوّة هذه الأُمّة في أمرين: في اعتصامها بالله وفي اجتماعها ووحدة كلمتها في هذا الاعتصام.

3 ـ الميراث

ومن الضروري أن يستحضر أعضاء هذه الأُسرة، في ساحة المعركة، عراقة هذه الأُسرة في التاريخ، وجذورها التاريخية. فإنّ معرفة هذه العراقة والعمق التاريخي لهذه الأُسرة واستحضارها في ساحة المواجهة تمنح الدعاة والعاملين في سبيل الله في ساعة المواجهة قوّة وصلابة ومتانة واستحكاماً أكثر.

فليست هذه الحركة الكبيرة في التاريخ حركة مبتورة الجذور، وإنّما هي تضرب في أعماق التاريخ من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وإلى رسول الله ﷺ. وحركة تملك هذا العمق والعراقة، وتثبت لمؤامرات المشركين وكيدهم ومكرهم طوال عشرات القرون، حَرِيّة بأن تَثبُت وتَثبت جدارتها وكفاءتها في هذه المعركة. إنّ أُسرة التوحيد شجرة طيّبة على وجه الأرض أصلها ثابت وفرعها في السّماء.

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}(1)

والشّرك كذلك أُسرة، إلاّ أنّها أُسرة مبتورة اُجتُثت من فوق الأرض مالها من قرار. وإنّه لَمن الضروري لأعضاء هذه الأُسرة الداعية إلى الله، أن تستحضر جذورها وعمقها وعراقتها في التاريخ، وصلتها بالصدّيقين والصّالحين والراكعين والساجدين والذاكرين الله والدعاة له.

ولأمر ما نحيِّي الحسين× ونسلّم عليه بهذا الميراث الضخم الذي يرثه من آبائه^، من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى رسول الله ﷺ فنقول:

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوح نَبِيِّ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ إِبْراهيمَ خَليلِ اللهِ».

إنّه لَمن الضروري، في ساحة المعركة، أن يستحضر الإنسان هذا العمق وهذه العراقة، فإنّها تعصمه وتحصّنه وتدعمه في وسط هذه المعركة الضارية.

---

(1) إبراهيم: 24 ـ 25.

4 ــ الانتظار والأمل

والانتظار رابع العوامل التي تمدّ الإنسان بالحركة، فإنّ الانتظار يبعث الأمل في نفسه، والأمل يمنحه القدرة على المقاومة والحركة. إنّ الغريق الذي ينتظر وصول فريق الإنقاذ، يقاوم أضعاف ما يقاوم الغريق الذي يفقد الأمل من الإنقاذ.

إنّ الإيمان بــ «وراثة الصَّالحين» للأرض و «إمامة المُستضعفين المؤمنين» وأنّ «العاقبة للمُتّقين» يمنح الصَّالحين والمُتّقين ثقة وقوّة، ويثبّت أقدامهم على أرض المعركة، ويمنحهم قدرة على مواجهة الصعاب وتحدّي الجبابرة والمُستكبرين في أشقّ الظروف وأقساها ويحول بينهم وبين الانهيار والهزيمة النفسية في ظروف المحنة الصعبة.

ولأمر ما يؤكّد القرآن الكريم على حقيقة {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}(1). ويقرّر وراثة الصَّالحين للأرض ويؤكّدها كما قرّرها الله تعالى من قبل في «الزبور».

{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}(2).

---

(1) الأعراف: 128.
(2) الأنبياء: 105.

ولأهمية هذه الحقيقة، وضرورة تأكيدها وتعميقها في نفوس المؤمنين، وبناء العقلية الإسلامية عليها، يقرّرها الله تعالى في «الذكر» و«الزبور» معاً. ويقرّر الله تعالى إمامة المستضعفين في الأرض وقيمومتهم على مسيرة الحضارة الإنسانية... وهذا إقرار من الله تعالى وإرادة حتمية منه سبحانه، إذا استجاب المستضعفون لما يأمرهم به ويدعوهم إليه، من الإيمان والعمل الصالح.

يقول تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ}[1].

وهاتان الآيتان، وإن كانتا واردتين، في قصة أمر موسى× وفرعون وهامان، فإنّ الإرادة الإلهيّة لإمامة المُستضعفين المحرومين مُطلقة وغير مقيّدة بشيء إلاّ الاستجابة لما يدعو الله تعالى إليه المؤمنين من الإيمان والعمل الصالح، وهذا الوعد الإلهي بإمامة المستضعفين في الأرض يمنح المؤمنين المستضعفين قوّة وثقة وطمأنينة، ومقاومة وصبراً على تحمّل متاعب الساحة والصراع، وثباتاً على الأذى، ويثبّت أقدامهم على أرض المعركة شأنه في ذلك شأن أي انتظار حقيقي للإنقاذ، يبعث الأمل في نفوس المقاتلين

---

(1) القصص: 5 ـ 6.

في ساحات القتال. وفي وسط المعركة.

في مواجهة فرعون وهامان يثبّت رسول الله موسى بن عمران' قومه من بني إسرائيل في ساحة المواجهة والمعركة، بوعد الله وانتظار الفرج، وانتظار المددّ من الله تعالى.

تأمّلوا في هذه الآيات المباركات من سورة الأعراف:

{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَاجِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}[1]. فيحاول نبيّ الله موسى بن عمران' أن يُشعر بني إسرائيل في ساحة المعركة، وفي ساعة المواجهة بالأمل بالله تعالى، ووعد الله، وانتظار الفرج. ويُقرّر لهم هذا القرار الإلهي العظيم: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

ومن عجب أن يربط موسى بن عمران× بين «الصَّبر» و«الانتظار» لوعد الله {اصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ

(1) الأعراف: 128 ـ 129.

عِبَادِهِ} ويحاول بنو إسرائيل أن يعيدوا نبيّهم× من انتظار المستقبل إلى مرارة الحاضر، فيقولون له: {أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَاجِئْتَنَا} فيعود موسى بن عمران' إليهم مرّة ثانية ليعيدهم بالنّبرة نفسها المطمئنة إلى انتظار وعد الله والصَّبر على الأذى حتّى يأذن الله بالفرج، وهو قريب: {قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}.

إذن فإنّ الله تعالى يريد لهذه الأُمّة أن يثقّفها على «الوراثة» و«الانتظار»، وراثة الأنبياء والصَّالحين وانتظار وعد الله تعالى بالفرج وإمامة الصَّالحين. وحركة التوحيد يحفّها من جانب قانون «الوراثة» ومن جانب آخر قانون «الانتظار». والوراثة والانتظار هما أهمّ أعمدة حركة التوحيد في مسيرها الطويل الشاق. وعلينا أن نُثقّف أنفسنا بهذه الثقافة القرآنية المزدوجة «الوراثة» و«الانتظار».

الفهرس

علاقة الانتظار بالحركة........................ 5

التّوجيه النفسي لمسألة الانتظار 5

المناقشة: 5

الانتظار في المدارس الفكريّة (غير الدينية)........................ 5

الانتظار في الأديان السابقة على الإسلام........................ 6

الانتظار عند المسلمين (من أهل السُنّة) 7

أحاديث الانتظار عند الشيعة الإماميّة 9

ما هو الانتظار؟ وما قيمته الحضاريّة؟........................ 10

أنحاء الانتظار 12

آلية التغيير........................ 15

الانتظار «حركة» وليس «رصداً» 16

ما هو السبب في تأخير (الفرج)؟ 17

نقد الرأي الأوّل 18

الرأي الثاني........................ 22

دور السُّنن الإلهية والإمداد الغيبي في ثورة الإمام (ع) 23

جيل «الموطّئين» في النصوص الإسلاميّة........................ 27

1 ــ الموطّئون في المشرق........................ 27

الـفـهـرس...79
2 ــ الموطّئون من خراسان.................................29
3 ــ الموطّئون من "قم" و "الري".........................29
4 ــ الموطّئون من اليمن.....................................30
الدلالات..30
1 ــ الجيل الصلب...30
2 ــ جيل التحدّي والتمرّد......................................31
3 ــ ردود الفعل العالمية.......................................34
مشروع التوطئة...36
جيل الأنصار في الروايات الإسلامية........................38
شباب الطالقان...38
أصحاب الإمام شباب..40
عدد قادة أنصار الإمام..40
الدلالات والتأمّلات..41
1 ــ كنوز ليست من ذهب ولا فضّة..........................41
2 ــ القوّة والوعي...42
3 ــ الوعي والبصيرة..43
4 ــ عزم نافذ..43
5 ــ القوّة..44
6 ــ الاستماتة وحبّ الشهادة.....................................44

7 ـــ تعادل الشخصية 46

8 ـــ رهبان باللّيل ليوث بالنّهار 48

مرحلتان أم جيلان 51

واجبات مرحلة «الانتظار» ومسؤولياتها 52

أوّلاً: "الوعي" 52

ثانياً: الأمل.. 54

ثالثاً: المقاومة 54

رابعاً: الحركة....................................... 54

خامساً: الدعاء لظهور الإمام........................... 55

شكوى ودعاء....................................... 55

الانتظار الموجّه 56

تصحيح مفهوم الانتظار 58

من ينتظر الآخر نحن أم الإمام×؟......................... 81

قيمة الانتظار 82

علاقة الحركة بالانتظار............................... 84

العمل الحركي....................................... 84

ضريبة العمل الحركي.................................. 65

التكليف بالحركة 86

ضعف الإنسان 88

الــفــهــرس...81
كيف نُحصّن أنفسنا من السقوط؟........................... 89
1 ــ الاستعانة بالصَّبر والصَّلاة 69
2 ــ الولاء.. 92
3 ــ الميراث 95
4 ــ الانتظار والأمل.. 74
الفهرس...103